حدّث القرية

.. الحائط الوسخ الملطخ بالدهان ،
رسمت عليه كف طفل وهو يعبث بالمداد ،
نخلاً ، وجمجمة ، واشياءً كثيرة
من قصة السعلاة والجنيّ والبنت الاسيره .

★

الحائط الوسخ الملطخ بالدهان وبالمداد ،
لصقت عليه كف صاحبه تصاويراً كثارا ،
بمقصه المثلوم قطّعها من الصحف القديمه ،
ومضى يحدق في مناظرها ويحلم بالمدينه
ويجيب من حين لحين وهو يوشك بالسعال :
ـ اهلاً ـ تحية عابر حيا وسارا
ويعود للتحديق في الصور القديمة في سكينه .

★

وتمر ساعات فينهض وهو يسعل في سكون ،
مستبشراً بالرزق موفوراً ، فقد جاء الزبون
ويدور بينهما الحديث بلا اتساقَ ولا انتظام ،
يتحدثان عن الحياة عن الحروب عن السلام !! : ـ
« البؤس اضنانا فما اهل القرى »
« إلا كديدان تدب على الثرى »
« عشرون عاماً في الخلافة والزمان »
« يطوي الخلائق في عباءته ويمضي دون مهل »
« وانا هنا وحدي بلا مال بلا ولد واهل »
وتداعب الريح الكئيبة وهي تعبر في الحقول ،
العشب والاشجار في غاب النخيل :
« اني تعبت من الحياة فما أزال »
« اشقى ويضنيني الرغيف »
« بالامس لم يعرج على الحانوت شخص فالرجال ،
« في الحقل يشتغلون إذ جاء الحصاد »
« هم في الربيع وقد دخلت من الحياة الى الخريف »
« تعساً لعمر مثل عمري فالحياة ، »
« تقسو على المستضعفين وليس يخشاها الطغاة . »

★

« رباه ! ان الزارعين لمتعبون ، »
« انا إن اموت فهل سيبقى الظالمون ؟ ، »
« في الارض يجنون السعادة من دماء الكادحين ؟ »
وتطلعت عيناه للصور القديمة من جديد ،
فرأى ـ كأن لم يبصر الرسم القديم ،
من قبل ـ فجراً أطلقته من سلاسله العبيد .

بغداد **زهير احمد**

فهو كثيراً ما يقحم الصور التي لا تمت الى واقع حياتنا بصلة كصورة الحداد الذي يراود عينيه النعاس في قصيدته (سوق القرية) فلم اجد هذه الصورة في الريف العراقي. وكقوله في قصيدة (القرصان) :

والمومسات
بثيابهن الباليات
يجمعن اعواد الثقاب
وينتظرن على الرصيف .

فما هي حاجتهن الى جمع اعواد الثقاب ؟ الخ ...

وتجد هذا التكلف في الصور في قصائده : «ماوماو» و« كوريا» و«فيتمين» التي اقحمها اقحاماً دون ان تشدها وحدة متماسكة من الاحساس والتلوين العاطفي والايقاع العذب . كما اخطأه التوفيق في وصف الثائرين بالموت في قصيدة (الباب المضاء) :

والليل والباب المضاء ، واصدقائي الميتون
بلا وجوه يحملون
والاصدقاء الميتون من المصانع والحقول
كمياه نهر هائج يتدفقون ، ويهتفون
بموت سفاكي الدماء الخ ...

فاذا تخطينا قوله «بلا وجوه يحملون» لأننا لا ندري ماذا يريد بذلك، فأن الذين يدافعون عن حريتهم وانسانيتهم لا يوصفون بالميتين ، ان من يقاوم الظلم ويدفع الحيف لا يوصف بالميت . انه البطولة والعزة والشموخ في اسمى معانيها .

والبياتي موزع الشخصية بين الرمزية والوجودية والواقعية والرومانتيكية ولم تتضح له شخصية مستقلة واسلوب متميز ، وربما جمع الضدين في قصيدة واحدة كما فعل في قصيدة (امطار): فقد ابتدأ رومانتيكياً وانتهى وجودياً. ففي القسم الاول من القصيدة يصف حنينه للعودة الى الحقل بحراثه وبأرضه السوداء وعصافيره والربى الشاحبة، وبعد ان ينفث شوقه الى اكواخه والبيدر وأغاني الحاصد العائد من كوخه النائي .. بعد كل هذه الصور الساذجة الحلوة على الرغم مما فيها من خطوط سوداء يفسد هذه الصور بوجودية مظلمة فيقول :

اتراها لم تزل تذكر من
عمرها يوماً به كانت وكان
يوم القته على الارض وقد
نامت القرية عنا والزمان

ان النقلة التي انتقلها البياتي في قصائده (انتظار) و (مذكرات رجل مجهول) و (الملجأ العشرون) تدعو الى التفاؤل فيما هو ماض اليه ، وما عليه إلا ان يعيش في تجاربه مع الواقع ومع الحياة والناس وعندها سيولد شاعراً يغني المعاني الانسانية بقوة وعمق واخلاص . فالأزمة في حقيقتها ليست بأزمة قوافي وأوزان بقدر ما هي ازمة فكرة واحاسيس وصدق .

بغداد **اكرم توفيق**